نظرية الاعتراف عند أكسيل هونيث
إلى أي مدى يمكن أن تكون مدخلًا فلسفيـًا واجتماعيـًا للتسامح؟[1]

أ. د. أحمد إسماعيل حجي *

يمثل أكسيل هونيث Axel Honneth، الجيل الثالث لمدرسة فرانكفورت، بل إنه أبرز أعضائه، وهو أحد أهم تلاميذ يورجن هابرماس، إنه ألماني مثله أيضًا ويترأس مجلس إدارة معهد فرانكفورت.

إن رواد النظرية النقدية هم مُؤسِّسو (مدرسة فرانكفورت)، مجموعة من الفلاسفة والنقاد الثقافيين والعلماء الاجتماعيين، الذين ينتمون إلى معهد فرانكفورت للبحوث الاجتماعية، ومن أشهرهم ماكس هوركهايمر وتيودور أدورنو وهربرت ماركيوز وإريك فروم، ووالتر بنيامين، وجاء في الجيل الثاني بعد الحرب العالمية الثانية يورجن هابرماس.

أُفتُتح معهد فرانكفورت للعلوم الاجتماعية عام ١٩٢٤، وظهر توجهه الفكري الماركسي بوضوح عام ١٩٣٠ بعد رئاسة هوركهايمر له، كمحاولةٍ لتطويرِ شكلٍ من أشكال الماركسية الهيجلية ملائمة للأوضاع الرأسمالية القائمة في القرن العشرين.

لقد مرت النظرية النقدية بأجيال كان لكل منها بصماته وعلاقاته المميزة للنظرية والمرحلة أو الجيل. وقد تكوَّن الجيل الأول من ماكس هوركهايمر وتيودور أدورنو وهيربرت ماركوز وإريك فروم وغيرهم. ثم جاء الجيل الثاني وعلى رأسه يورجن هابرماس، وأسهم مع زملائه في إقامة حوار بين ما كان يُسمّى بالتقاليد التحليلية والقارِّية، واتجهت مدرسة فرانكفورت في عهده نحو العالمية، مؤثرة على المداخل المنهجية في سياقات أوروبية أخرى وتخصصية علمية عديدة، بل وانتقل منها تأثير هذه المدرسة إلى أمريكا عن طريق ريتشارد برنشتاين.

(١) ارجع إلى كتاب: أزمة علم الاجتماع الغربي والعربي – عالم الكتب – القاهرة –٢٠٢١.

* أستاذ التربية المقارنة والإدارة العلمية بكلية التربية – جامعة حلوان.

أما الجيل الثالث للنظرية النقدية، فكان على يد تلاميذ هابرماس في فرانكفورت وستارنبرج في الولايات المتحدة، ومثل هذا الجيلَ مجموعتان، المجموعة الأولى جاء على رأسها أندرو فينبرج وكان تلميذًا مباشرًا لهربرت ماركوز، والمجموعة الثانية تكونت من دارسين أمريكيين، تأثروا بفلسفة هابرماس خلال زياراته للولايات المتحدة.

تأثر هونيث بأقطاب الجيل الأول وأقطاب الجيل الثاني معًا، وتحفَّظ على بعض آراء كل جيل منهما، وكان ذلك مدخله إلى بناء نظريته النقدية، التي رأى أنها تساير ما حدث وما يحدث من تغيُّرات وتحوُّلات كلية تاريخية وفكرية، سياسية واقتصادية واجتماعية. وكان اطِّلاعه على أعمال كبار الفلاسفة مثل جون ديوي وهيجل وماركس، وعالم الاجتماع جورج هربارت ميد وبيير بورديو وغيرهم، عونًا له في وصوله إلى نظريته عن الاعتراف Reconnaissance التي تقوم عليها[1].

فلسفته الاجتماعية.

والاعتراف عند هونيث يختلف عن مفهومه عند هوبر، حيث يركز على الصراع والحروب بين البشر من أجل البقاء حيث رغبات متناقضة بينهم. ومن ثَمَّ يصل إلى أن الاعتراف المتبادل بين الناس يضع حدًا للصراع الاجتماعي القائم على السيطرة والهيمنة والظلم الاجتماعي؛ مما يُمكِّن الأفراد من أن يحققوا ذواتهم بشكل إيجابي. وهذا ما يتم حسب تعبير الدكتور كمال بومنير ضمن العلاقات التذاوتيَّة، وهي علاقات تتوقف على تحقيق ثلاثة شروط أو نماذج معيارية متميزة للاعتراف؛ هي:

١- الحب:

إذ يرى هونيث أن الحب علاقة تفاعلية مؤسسة على نموذج خاص للاعتراف المتبادل، وأن علاقة الطفل بأُمِّه أول مستوى للاعتراف المتبادل، فهي تلبي له احتياجاته البيولوچية والعاطفية؛ ومن ثَمَّ تكون النموذج الأمثل للاعتراف المتبادل.

٢- الحق:

ويضيف هونيث أن الاعتراف القانوني يضمن حريات الأفراد واستقلالهم الذاتي، بما يُمكِّن الفرد من التمتع بحريته المعترف بها اجتماعيًا، والقانون يسمح بذلك في إطار الاعتراف المتبادل الذي يفترض مسئولية جميع أعضاء المجتمع مسئولية أخلاقية.

٣- التضامن:

ويسمح التضامن الاجتماعي للأفراد بتحقيق ذواتهم من صراعهم من أجل الاعتراف، من

خلال علاقات الاعتراف المتبادل، الذي يتوقف في المجتمع الحديث على وجود علاقات التقدير المتماثل بين الذوات التي حققت استقلالها.

هذه هي الشروط الأساسية للاعتراف الاجتماعي، ويمثل الصراع من أجله إرادة الوجود التي تكشف وترفض في الوقت نفسه أمراض المجتمع الرأسمالي، التي لا تتوقف فقط على اعتبارات اقتصادية، وإنما تتعداها إلى اعتبارات أهم هي الاعتبارات الأخلاقية، التي من شأنها تجاوز السلوكيات السلبية؛ وبخاصةٍ منها الاحتقارُ الاجتماعي

واعتبر هونيث الاحتقار أساسًا للمجتمع الرأسمالي المعاصر، وهو يمثل ذُلًا للأفراد والمجتمعات ينفي الاعتراف الاجتماعي كسلوكٍ عادل . ويأخذ – الذل – أشكالًا ثلاثة رئيسة؛ هي:

أ- تحطيم هُويَّة الشخص تحطيمًا كاملًا وشاملًا، ويلحق الأذى بذاته.

ب- حرمان الفرد أو المجتمع من حقوقه:

إذ لكل فرد حقوقه المشروعة في جماعته أو مجتمعه، ويؤدي حرمانه من حصوله عليها – طالما يقوم بواجباته – إلى إقصائه وعدم الاعتراف به.

جـ- النظرة التحقيريَّة لأنماط حياة الفرد والجماعة:

والفرد لا يشعر بقيمته وتقديره الاجتماعي من الآخرين، بل إنهم يُسيئون إليه وربما يتعدون عليه أيضًا. وهذا يحدث أيضًا للمجتمعات التي يتم تحقيرها وعدم الاعتراف بها في ظل الرأسمالية النيوليبرالية.

ويتناول أكسيل هونيث مفهوم التشيُّؤ وفلسفته، ناقدًا أُحادية نظرة لوكاش له؛ إذ إن تعميم النموذج الإنتاجي والتجاري للاقتصاد الرأسمالي ليس وحده السبب الرئيس لتفسير هذه الظاهرة؛ ومن ثَمَّ اهتم بتناولها على ثلاثة مستويات؛ هي:

أ- المستوى الفني والأدبي:

فقد عالجت أعمال أدبية وفنية كيفية نفاذ بعض القيَم الاقتصادية السائدة إلى حياتنا اليومية، ورؤية العالم الاجتماعي بصورة خالية من كل إحساس.

ب- المستوى السوسيولوجي:

ثمَّة دراسات سيوسيولوچية تؤكد أن الذوات صارت تميل إلى إظهار مشاعر وأحاسيس بشكلٍ انتهازيّ إلى حد التظاهر بمعايشتها فعليًا، وكأن الأمر متعلق بعناصر حقيقية من شخصيتهم .

جـ- المستوى الخلُقي:

وهناك محاولات للفهم النظري للظواهر التي سبق أن تناولها لوكاش في دراسته للتشيُّؤ.

وبعد، هل يمكن إذا ما تحقق الاعتراف الاجتماعي تجاوز مختلف أشكال التشيُّؤ السائدة في العالم المعاصر، وصولًا إلى التسامح وتقبُّل الآخر؟

وهل يمكن تحقيق ذلك في ظل سيطرة وتحكم العقلية الأداتية والنفعية على مختلف جوانب الحياة في عالمنا المعاصر الذي فاقمت العولمة أوضاعه، وارتبط بذلك السيطرة الشاملة على الطبيعة وعلى الإنسان، ومعظم بلاد العالم اقتصاديًا وسياسيًا وثقافيًا بدعم من المنظمات الدولية والتحالفات الإقليمية، وصراعات القوى العالمية، واتفاقاتها المُعلَنة على تقسيم العالم.

المراجع:

١. أسماء حسني ملكاوي: أخلاقيات التواصل في العصر الرقمي، هابرماس نموذجًا – المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات – الدوحة، قطر – ٢٠١٧

٢. أكسيل هونيث: التشيؤ، دراسة في نظرية الاعتراف – ترجمة وتقديم كمال بومنير – مؤسسة كنوز المحكمة – الجزائر – ٢٠١٢.

٣. چيمس جوردن فينليسون: يورجن هابرماس – ترجمة أحمد محمد الروبي ومراجعة ضياء وراد – هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة – ٢٠١٥.

٤. سامي خشبة: مصطلحات الفكر الحديث، الجزء الأول – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ٢٠٠٦.

٥. كمال بو منير: من چورچ لوكاشي إلى أكسل هونيث، نحو إعادة بناء مفهوم التشيؤ – هيرميس، المجلد الثاني (٤) – أكتوبر ٢٠١٣.

٦. مصطفى خلف عبد الجواد: قراءات معاصرة في علم الاجتماع – مركز البحوث والدراسات الاجتماعية– جامعة القاهرة – ٢٠٠٢.

- HONNETH, A.: Disrespect. The Normative Foundations of Critical Theory- Polity Press- Cambridge, 2007.
- Ted Fleming: Recognition in the work of Axel Honneth: Implications for Transformative Learning Theory1- Paper presented at the 9 th International Transformative Learning Conference, Athens, May 28, 2011. Published in M. AlhadeffJones & A. Kokkos, (Eds). Transformative Learning in Time of Crisis:Individual and Collective Challenges, New York & Athens: Teachers College, Columbia University & The Hellenic Open University.